المحبوس في العروق، من المحيط الى الخليج، للمساهمة في ولادة هذا الفجر الذي تحبل به جراح مقاتلينا وثقوب أحذيتهم الشريفة. فهنا، هنا المحك. ولعله المحك الأخير في هذه الحقبة من الزمن.. محك لمعادن البشر، ومحك جدوى حياتنا. من هذه المعركة، وفيها، يصاغ كل شيء من جديد. لا خيار سوى المعركة لأن ما عداها انتحار، ومن دخانها سيطلع النهار».

وبالفعل، فقد وقف معظم الكتاب العرب الى جانب اخوتهم المقاتلين، أما في تعليقاتهم الاذاعية التي كانت تبث يومياً، أو في مقالاتهم وتحقيقاتهم وقصصهم وقصائدهم في جريدتهم «المعركة» التي استمرت تصدر ستين يوماً دون توقف، رغم الظروف الصعبة، التي مرت ببيروت أثناء الحصار والمعارك الضارية والقصف الوحشي المستمر براً وبحراً وجواً.

ولم تكن صحيفة «المعركة» وحدها اعلامياً في المعركة، فقد كانت هناك «رصيف ٨١»، و«العودة»، بالاضافة الى صحيفة منظمة التحرير الثابتة «فلسطين الثورة»، وبقية المنشورات المعروفة. وبهذه المناسبة، لابد من ذكر الذين استشهدوا أثناء المعركة من الشعراء والصحفيين، خصوصاً مؤسس «رصيف ٨١» الشاعر علي فودة، صاحب ديوان» فلسطيني كحد السيف»، الذي استشهد أثناء توزيع الجريدة على المقاتلين. كذلك الشهيد الصحفي سمير درويش، الذي أصيب في المدينة الرياضية وهو ينقل المواطنين. ويقوم بواجبه كصحفي، يصور ويكتب في مواقع الخطر. استشهد بعد ثلاثة أيام من اصابته، وهو الذي كان قد قضى ثلاثة عشر عاماً في الأسر لدى العدو الاسرائيلي. وكان رئيساً لتحرير مجلة «الى الامام» التي تصدر بالانكليزية. والشهيدة نعم فارس التي أعدت الكثير من المقابلات مع المقاتلين، وأسهمت بجهد كبير في صوت الثورة الفلسطينية، والشهيدة لبنانية من الجنوب، آمنت بالمصير المشترك بين اللبناني والفلسطيني والعربي عموماً.

هذا في بيروت.

لكن ماذا فعل المثقفون في الشمال؟

في الواقع كان تحرك المثقفين في الشمال أكثر حرية، بسبب عدم امتداد الغزو اليهم.. فهناك دعت المجالس والروابط والهيئات الثقافية في طرابلس، الى قيام جبهة ثقافية وطنية مناهضة للاحتلال والفاشية وصهينة لبنان، ومنابهة محاولات فرض صلح مع اسرائيل، ومواجهة ما يجري من محاولات لتبديد الهوية الثقافية الوطنية للبنان، لصالح «ثقافات» أو مشاريع ثقافية فئوية مذهبية. وقد جاء ذلك في البيان، الذي صدر عقب اجتماع عقد في طرابلس، بحضور الهيئات الثقافية التالية: اتحاد الكتاب اللبنانيين، النادي الثقافي العربي، المجلس الثقافي للبنان الجنوبي، المجلس الثقافي للبنان الشمالي، التجمع الوطني للعمل الاجتماعي في الشمال، النقابات وفروع الجامعة اللبنانية في الشمال. ودعا البيان الى العمل المشترك من أجل قيام جبهة ثقافية وطنية، مناهضة للاحتلال والفاشية وصهينة لبنان، جبهة تؤمن:

١ ــ بأن محاولات الغاء هوية لبنان العربية، هي تفريط بسيادته المقدسة، وباستقلاله الوطني الكامل، وبشخصيته الوطنية والحضارية، التي هي رافد من روافد الشخصية العربية، وأن محاولات فرض معاهدة صلح مع اسرائيل، عدونا الوطني والقومي، هي اخضاع لبنان وشعبه للصهيونية العنصرية، تحقيقاً لأهدافها المجرمة في التوسع والهيمنة.

٢ ــ بأن لبنان كان، وما يزال، ويجب أن يبقى بلد الحريات والديمقراطية. حرية العقيدة والفكر، والتعبير والصحافة، والاجتماع والعمل النقابي والسياسي. وأنه بهذه الحريات، وبالمبادرة الخلاقة يتنفس بها، ويعيش ويتقدم. وبها يصنع الرخاء والازدهار والاستقرار والاطمئنان. وبأنه لا مكان فيه للديكتاتورية، أو لحكم الفريق الواحد أو الحزب الواحد. وأن كل مقولة بخلاف ذلك ستعمل على انهائه.

٣ ــ بأن لبنان يجب أن يبقى بلد الانفتاح على الحضارات، أخذاً وعطاءً، دون أن يعرف الانغلاق يوماً. عاملاً على اغناء حضارته العربية بكل ما يفيد ويخصب. وبكل ما يجعل منه رائداً لنهضة عربية متطورة، حضارياً واجتماعياً، بعد أن كان له موقع الريادة في النهضة العربية الحديثة، قومياً وثقافياً.

٤ ــ بأن لبنان كان، دائماً، متنوع الثقافة على وحدة. يعزز هذا التنوع انفتاحه التاريخي على ثقافات جميع الشعوب، واغتناؤه من تراث عائلاته